مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
ISSN: 2437-0584/ EISSN: 2437-0584

الغوط تراث زراعي لوادي سوف

Al-Ghott , agricultural heritage of Wadi Souf

حسونة عبد العزيز

جامعة زيان عاشور الجلفة، (الجزائر)

Hassabdo@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/07/ 26 **تاريخ القبول:** 2026/11/ 01 **تاريخ النشر:** 2026/11/ 25

الملخص

ينتمي وادي سوف لإقليم الواحات الواقع في الجنوب الشرقي من الجزائر، ويقع على الأطراف الشمالية للعرق الشرقي الكبير وتنتشر قُراه و تجمعاته السكانية وسط كثبان الرمال ، ويقع ضمن نطاق بلاد الجريد الممتدّة من الساحل الأطلسي لشمال أفريقيا إلى حدود مصر الغربية ، تحدها من الشمال سلسلة جبال الأطلس و من الجنوب الصحراء الكبرى .

انفردت بلاد سوف عن باقي بلاد الجريد بغراسة النخيل في أحواض منخفضة حُفرت وسط الرمال عُرفت بالغوط (ج.غيطان،أغواط) ، انتشرت غيطان النخيل في كامل ربوع وادي سوف من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها.

لم يقتصر دور الغوط على الجانب الاقتصادي فحسب ،بل صار يمثل مُكون اجتماعي على أساسه تشكلت القرى والمدن فكل تجمع للغيطان ظهرت وسطه نواة لتجمع قَبَلي أو حي سكني تطور بمرور الوقت إلى قرية أو مدينة.

يُعتبر إنجاز الآلاف من غيطان النخيل وسط كثبان الرمال وفي بيئة قليلة الأمطار إنجازا حضاريا ينم عن ذكاء وقوة جَلد وصبر الإنسان السُّوفي قد يضاهي في قيمته إنجاز الأهرامات في مصر لذلك صنفت منظمة الفاو F.A.O. الغوط في بلاد سوف ضمن التراث الزراعي العالمي سنة 2011م

الكلمات الدالة وادي سوف ، إقليم الواحات ،الكثبان الرملية، بلاد الجريد، الغوط، النخيل.

Abstrac:

Wadi Souf belongs to the Oasis region located in the south-east of Algeria, and is located on the northern outskirts of the Great Eastern Ethnicity, its villages and populations are spread through sand dunes. It is located within the range of Bilad El Jerid, which extends from the Atlantic coast of North Africa to the western borders of Egypt, bordered from the north by the Atlas Mountains and From the south by the Sahara desert.

The country of Souf was distinguished from the rest of the Bilad El Jerid by planting palm trees in low basins dug in the middle of the sand, known as el Ghott (p. Ghaitan, Aghouat). Palm Ghaitan spread throughout the Wadi Souf from north to south and from east to west.

	Ghott's role was not limited to the economic aspect, but constituted a social component on the basis of which villages and cities were formed. Each Ghaitan gathering emerged at the centre of a nucleus of a tribal gathering or residential neighbourhood that evolved over time into a village or city. The achievement of thousands of Palms Ghaitan amidst of sand dunes and in a low-rainfall environment is considered a civilized achievement that reflects the intelligence, strength of fortitude and patience of the Soufi-man, whose value may be comparable to the achievement of the pyramids in Egypt. So the F.A.O. classified el ghott of Souf into the World Agricultural Heritage in 2011 AD
Keywords:	Wadi Souf, Territory of Oasis, Sand dunes, Bilad al-Jarid, Al-Ghott, Palm trees.

1. مقدمة:

يرى ابن خلدون "...أن العمران هو ضرورة الاجتماع الإنساني..."[1] ، فالإنسان منذ القدم في حله و ترحاله يسعى لإنجاز المأوى الذي يقيه المخاطر ويُشعره بالأمان ويكون عامل الاستقرار والتوطين .

والإنسان في منطقة وادي سوف لم يشذ على هذه القاعدة فمنذ وجوده في هذا الإقليم وهو يسعى جاهدا لتحصيل المأوى المناسب للاستقرار والتوطن حتى أستطاع الوصول إلى تحقيق الحضارة التي كان قمة إنجازها المئات من غيطان النخيل في شكل شبكه عنكبوتيه أو خلايا نحل تحيط بقرى ومدن سوف.

ماهي ظروف الإستيطان والتعمير في منطقة سوف وكيف أستطاع ساكنة المنطقة مكافحة الرمال وتحويلها إلى واحات في شكل غيطان ممتدة على إمتداد قرى ومدن وادي سوف .

2. الموقع و التضاريس

1.2 . الموقع:

تقع وادي سوف ضمن إقليم الواحات في الجنوب الشرقي من الجمهورية الجزائرية تحدها من الشمال ولايات تبسّة، خنشلة وبسكرة، و من الغرب ولايات بسكرة، الجلفة و ورقلة ومن الجنوب ولاية ورقلة، ومن الشرق الحدود الدولية المشتركة مع الجمهورية التونسية، وتبعد ولاية الوادي عن مدينة الجزائر العاصمة بنحو 600 كلم.

2.2 . التضاريس:

تضاريسيا تبدو بلاد سوف محصنة طبيعيا في شكل مسطح شبه دائري يتمركز على التخوم الشمالية للعرق الشرقي وتحيطها الكثبان من كل جانب،وتحدها من الشمال السِبَاخ [2] والشطوط على هيئة هلال.

يغلب على سطح بلاد سوف طابع الانبساط فهي قليلة الارتفاع يُقُدَّرُ متوسط ارتفاعها بنحو80 مترا عن سطح البحر[3]، تكسوها طبقة رخوة من الرمال تشكلت بفعل عمليات الحت و الترسيب الريحي، وعموما يغلب على المنطقة مظهرين تضاريسيين هما:

أ- مظهر الرمال: لأن المنطقة تنتمي للعرق الشرقي الكبير تحيط الكثبان الرملية بكل مدن و قرى وادي سُوف وتأخذ في الارتفاع ناحية الجنوب حيث يترسب الرمل بفعل الرياح في شكل كثبان تحتل ثلاثة أرباع ¾ المساحة و نادرا ما تكون كثبان العرق متراصة حيث تتخللها في غالب الأحيان أروقة مستوية تعرف محليا بالقاسي، حيث نجد سلاسل من الكثبان الرملية التي يفوق ارتفاع بعضها 100 متر عن مستوى البحر تعرف بالغرود العالية[4] ، كما تنتشر الوِهاد والفِجاج بين التِلال الرملية.

ب- مظهر الشطوط والمنخفضات الذي يمتد إلى الشمال من منطقة سوف حتى السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي(الأوراس)، أهمها شطوط عَسلوج، مَلغيغ و مَروان، يُعد هذا الأخير أخفض منطقة في الجزائر بنحو 36 م دون مستوى سطح البحر.

كما يمكن أن نشاهد على الطريق نحو الأوراس والزيبان بعض الهضاب الصحراوية (الحَمَّادات)[5].

و تبعا لهذه المظاهر نجد في وادي سوف ثلاثة أنواع من التُرَبْ وهي:

- تربة الصُحون (م.الصحن) هي مساحات شاسعة مستوية مرتفعة نسبيا تتكون من تربة خشنة متفاوتة بين حبيبات الرمل الدقيقة والحصى غالبا ما تتواجد تحتها طبقات من اللُّوس أو الحجارة الكلسية لذلك فهي قليلة الإنبات ، تُعرف في مناطق أخرى بالبطحاء[6].

– تربة الأرض الحُرَّة وهي تُربة رملية ناعمة متوازنة الحبيبات، نَفُوذة و رَخْوة تكاد تنعدم بها الطبقات الصلبة من الحجارة ، وإن وُجدت تكون على أعماق بعيدة عن السطح قريبة من الحوض المائي الذي يعتقد أنه من بقايا المجرى القديم لوادي سوف والذي طمرته الرمال، لذلك سادت غراسة النخيل في هذه المساحات وانتشرت الغيطان حول الحواضر والقرى القديمة.

– تربة السِبَاخ أو الشطوط وهي تربة شديدة الملوحة بسبب صعود المياه الجوفية المالحة خلال فترة الأمطار وهي غير صالحة للزراعة و إن صَلُحَت فمردودها الإنتاجي من التمور أو الخضراوات ضعيف ورديء.

3.2 .الجيولوجيا:

جيوليوجيًا تقع بلاد سوف ضمن نطاق الحوض الكبير من المتداخل القاري الذي يغطي مساحة 600 ألف كيلومتر مربع والذي يمكنه أن يوفر سنوياً نحو 40،000 مليار متر مكعب من المياه ، وتتواجد المياه الجوفية بإقليم وادي سوف على ثلاث مستويات تغطيها طبقة رملية على مستويات عميقة ولا نكاد نجد صخور حقيقية إلا على عمق 1000 متر (الطبقة الألبية)، و تتواجد المياه الجوفية في المستوى الأول على عمق يتراوح ما بين 10-15 متر وفي بعض المناطق تكاد المياه تكون سطحية ظاهرة ما جعل عملية استغلالها متيسرا رغم قلة الإمكانيات في فترات سابقة عن طريق حفر الآبار التقليدية .[7]

3. ظروف التعمير البشري :

إن إستقرار السكان في منطقة صحراوية رملية يرتبط بمدى وفرة المياه والتي تشير المصادر التاريخية والدراسات الجيولوجية أن بلاد سوف كانت تمثل منخفض لوادي كبير يصب في

الشطوط الواقعة على حافة الجنوبية للكتلة الأوراسية (شط ملغيغ) ولكن طغت عليه بمرور الزمن كثبان العرق الشرقي الكبير فغار مجراه أسفل التربة [8].

كانت البلاد المحاذية لسوف سواء طرابلس وبلاد الجريد في الشرق أو بلاد النمامشة والزيبان في الشمال أو بلاد ريغ في الغرب تشهد صراعات سياسية ودينية مستمرة ما أدى إلى هروب الكثير من الناس فرادى أو جماعات واستقرارهم بأرض سوف ، ففي العصر المسيحي الأول شكلت سوف ملاذا للمضطهدين حيث يذكر العدواني " وأن قرية جلهمة[9] كان يقطنها نصارى من البربر قبل الإسلام و يوضح أن هذه القصور كانت بمثابة أَدْيِرَة أو أماكن للخلوة، بقوله "يتعبدون فيهم" [10] ، و هذا مايؤكده صاحب الصروف بقوله: " أنه ذهب جماعة من الرهبان إلى جهة الجنوب ومنها أرض سوف فنزلوا عند من سبقوهم بجِلْهَمَة و سحبان[11] و بنوا أمكنة سواء للعزلة والعبادة أو الاستيطان"[12] .

شهدت المنطقة في العصر الإسلامي المبكر ق. 4هـ/11م توافد أفواج من عرب عدوان وطرود وشكلوا تجمعات سكنية عديدة و متفرقة مجاورة لسكانها الأوائل من بربر زناته فسميت" بلاد الألف قرية"[13] حيث يذكر العُدواني عن(طرود وعدوان)"..فنزلوا أسفل مجرى الجردانية واستقر كل منهم بغديرة.."[14] ويصف العياشي بلاد سوف سنة 1663م" سوف...فيه بلاد عديدة وماؤها طيب غزير قريب من وجه الأرض..."[15].

لقد شكل وجود مصادر للمياه الباطنية عاملا إيجابيا في الاستقرار البشري ونشأت القرى في شكل خطين متقاطعين على حسب تقاطع محوري طرق القوافل (الزيبان ← غدامس/ بلاد الجريد ← وارجلان) وصارت المنطقة معبرا حيويا للقوافل العابرة للصحراء.

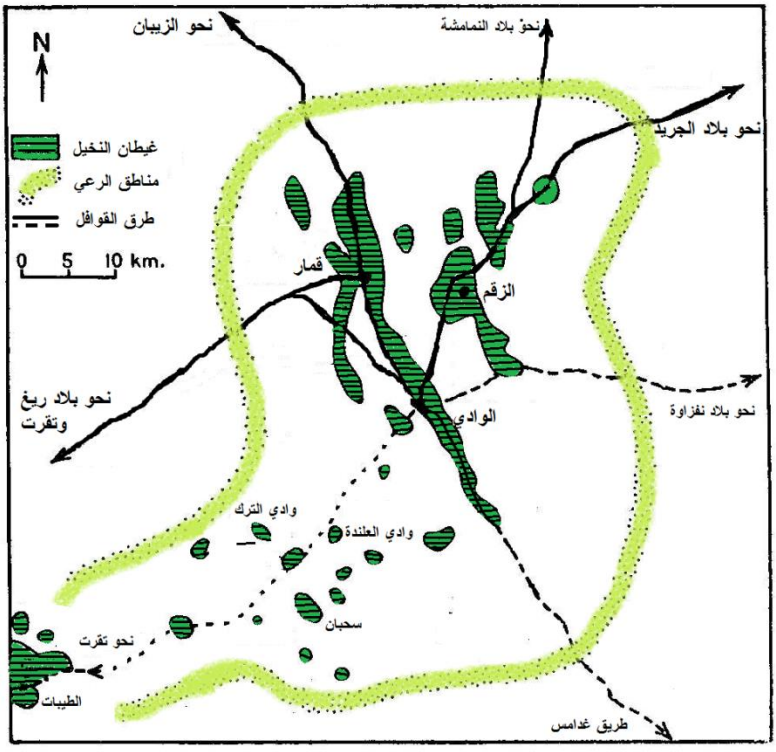
4. غراسة النخيل في بلاد سوف :

إن تطور حركة العمران المادي وتوسعها يرتبط بمدى التفاعل بين العنصر البشري مع البيئة الجديدة وكان لزاما على ساكنة سوف الأوائل توفير ضروريات البقاء" المأوى و المأكل" لتبدأ صناعة أسطورة بلاد سوف بغراسة النخيل وحفر غيطان النخيل.

رغم كون سوف بلاد رمل فإنها جغرافيا تقع ضمن نطاق بلاد الجريد فالمناطق المحاذية لها من الغرب الليبي والجنوب التونسي وبلاد ريغ كلها تعتبر بلاد تمر فلا غرابة أن تتأثر بها .

يذكر العدواني أن أول من غرس النخيل في سوف هو عمار البغدادي في قرية السّبطي"[16] ولكنه يذكر أن القرية المذكورة كان يقطنها توارق" [17] وقد يكونون هم أول من جلب النخيل للمنطقة بدليل أن أسماء الكثير من التمور بربرية مثل : توزانت ، تاشلويت، تانسليت، تاورخت، تكرمست... ، بينما يذكر صاحب الصروف" أن سيدي مستور[18] هو أول من أشاع غرس النخيل في وادي سوف حين أشار على أبناءه بغرس النخيل قرب زاويته الواقعة في الجهة الشرقية الجنوبية من حي الأعشاش[19] وأن أولى الفسائل تم جلبها من فزان[20] ويعرف تمرها بالفزّاني وكان ذلك حوالي 946 هـ/1540 م [21] ، ومع تزايد أعداد الوافدين على المنطقة انتشرت فكرة غراسة النخيل وتنافس الناس فيها وصارت النخلة تمثل ثروة لهم، و يصف الرحالة المغربي العياشي بلاد سوف في ق.17 م بقوله".. سُوف هي خط من النخيل مستعرض في وسط الرمل قد غلب على أكثره." في إشارة لكثرة النخيل وقال "أن أهل هذه البلاد (سوف) يسكنون في زرايب من جريد النخل"[22]. (الشكل 01)

الشكل 01 : رسم يوضح امتداد غيطان النخيل عند تقاطع طرق القوافل



عن: Bataillon بتصرف [23]

وبما أن النخيل في وادي سوف يُسقى ذاتيا "بَعْلي"[24] فهو لا يتطلب كثرة رعاية إلا في فصل الربيع لتأبيره وفي فصل الخريف لجني الغلّة فصار الكثير من أهل سوف يمارسون أنشطة أخرى خاصة تجارة القوافل.

1.4 . طرق وتقنيات حفر الغوط [25]

كما ذكرنا سابقا فإن غراسة النخيل بدأت أول الأمر على وجه الأرض عندما كانت المياه قريبة من السطح ولكن بسبب الجفاف وغَوْر المياه وطُغيان الرمال المتحركة صار لزاما حفر الغوط وسط الرمال لإقامة حقل النخيل.

تعتبر عملية حفر غوط النخيل عملية شاقة وطويلة الأمد قد تستغرق سنوات حسب مساحة وعمق الغوط تكون عملية الإنجاز في أرض مُشاعة، وبعد اختيار المكان المناسب من استواء الأرض أو انخفاضها وقربها من الماء تبدأ أعمال" رفع الرمل"[26] من طرف المالك نفسه وأحيانا بمساعدة العوّانة[27] من أقاربه أو جيرانه أو قد يشترك في ملكية الغوط 3 أو 4 فلاحين يتقاسمون المساحة المنجزة وتكون إخراج الرمل على الظهر باستعمال الجناح[28] أو القفة (الشارية)[29] أو على ظهور الدواب(الحمير والبغال) بواسطة الزنبيل[30].

يقوم "الرّمّالة" بالحفر في وسط الموضع بعمق متدرج ومساحة مُحددة ويُرفع الرمل ليوضع على محيط الحفرة لتكَون حدود الغوط "الطابية"[31]، و في مراحل متأخرة صار يُلجأُ إلى تأجير العمالة اليومية وتقتصر عملية رفع الرمل على البالغين من الرجال ، ويكون حساب العملية إما بطريقة "العد" أي بعدد شواري الرمل التي تم إخراجها، أو بـ"القَدْ" أي بحساب المساحة المحفورة وعمقها.(الصورة:01)

بعد اكتمال المرحلة الأولى من عملية الحفر و التي تكون من الصباح إلى المساء وتستغرق أشهرًا يكون قد تشكل حوض ذو امتدادات واسعة تبلغ عشرات الأمتار وبعمق قريب من السماط المائي يتراوح مابين 10 إلى 20 متر حسب المناطق وعندما يحل موسم الإنبات يتم

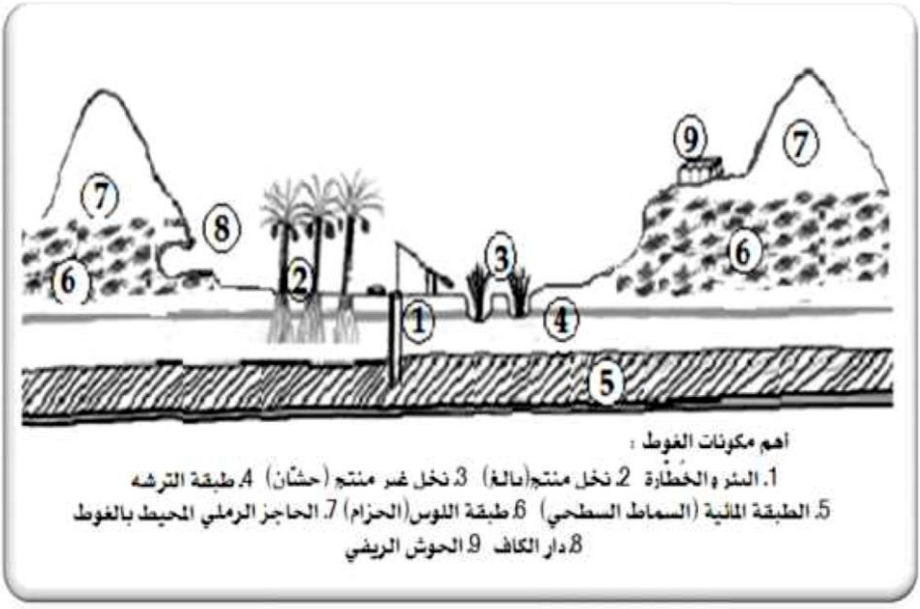
إحضار فسائل النخيل أو الحَشّان و يحفر لكل منها حوض خاص " البحيرة "[32]، لتكون عملية السقي ذاتية "ري بعلي".

تُعطي النخلة أولى ثمارها بعد نحو ثلاث سنوات من غرسها حينها يقوم الفلاح بتسميد التربة بالمواد العضوية من فضلات الإبل "الجَلَّة" ويوضع السماد في حفرة أسفل جذورها ، حوالي نصف قنطار للنخلة الواحدة .

تخضع غراسة النخيل لنظام معين بحيث تكون المسافة بينها عادة حوالي أربع أمتار، وتكون أعدادها حسب مساحة الغوط وتوضع بنظام الأسطر المتساوية أو بنظام الفجاج "الفجوج" (اللوحة:01) أي تكون النخيل محيطة بنخلة مركزية في شكل دوائر ويترك بينها فراغات مدروسة بشكل يتناسب مع الحركة الدائرية للرياح وعادة تكون النخلة الوسطى من نوع "الذُكَّار" المنتج لغُبار الطلع الذي يستعمل في تلقيح النخيل المنتج للتمر، وتلعب الحركة الدائرية للرياح دورا أساسيا في هذه العملية مصداقا لقوله تعالى الآية :﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾[33].

تتمثل المرحلة الثانية من إنجاز الغوط في عمليات الصيانة المستمرة لمقاومة زحف الرمال أو لتوسعة مساحته وزيادة عدد النخيل ، إن عملية مكافحة الرمال عبارة عن معركة مستمرة بين الطبيعة والفلاح السوفي، وتقتضي الحكمة متابعة الرياح واتجاهاتها لتساعد الفلاح على صدّ الرمال عوض دفن الغوط، ويستخدم لصَدِّها حاجز من جريد النخيل حيث يدفن الجريد للنصف بشكل دائري "الزّرب"[34]، ويقام إثنان أو ثلاثة زروب متدرّجة الارتفاع نحو الخارج للوقاية ، هذه الحواجز تقوم بالتخفيف من حمولة الرياح من الأتربة وتعمل على توجيه الرياح عبر ممرّات في محيط الغُوط وترسب حمولتها من الرمال خارج الغوط وأحيانا تُدَعّم حواجز الجريد بالحجارة الرقيقة التي تُستخرج من أسفل الغوط وتساعد على تثبيت التربة.(الشكل 02)

الشكل 02 : رسم تخطيطي لمقطع عرضي للغوط وأهم مكوناته



إعادة تصور للباحث

يختلف نشاط عملية حفر الغيطان على حسب جَوْدة المياه وقُربها من السطح ، حيث نجد أن الغيطان في الجهات الشمالية لسوف كقمار و سيدي عون و الرّقُم أقل عمقا من تلك الواقعة في جنوب سوف مثل وادي العلندة و أعميش لأن الطبقة الرملية السطحية هناك أكثر سماكة من الشمال وتزداد علو الكثبان الرملية في الجنوب.

تستغرق عملية إنجاز الغوط أشهرا أو سنوات على حسب المساحة المراد استغلالها وقد يستوعب الغوط الواحد أحيانا ما يناهز الـ 100 نخلة تكون مشتركة بين عدة أفراد ، وصار الغالبية العظمى من أهل سوف يعيشون بالنخلة وعليها يقومون على خدمتها وسقيها فهي الغذاء وهي المأوى، فمعظم أفراد العائلة يشتركون في أعمال البستنة وزراعة المحاصيل الموسمية ،

وإلى وقت قريب كان الكثير من السوافة يعيشون أو يقضون معظم أيام السنة في مساكن تقليدية اتخذوها في غيطانهم يحتمون بها من قسوة المناخ "حرارة الشمس أو العواصف الرملية الهوجاء" تختلف حسب الإمكانيات منها .

1- السقيفة وهي عبارة عن كوخ مشكل من الجريد وتدعم بجذوع النخل وعادة ماتنجز في عمق الغوط تستغل عادة للقيلولة والراحة أثناء النهار.

2- دار الكاف (الكهف) وهي عبارة عن كُوَّة أو غار يحفر في مستوى متوسط من عمق الغوط عادة أسفل الطبقة الصخرية (حزام اللُوس) بحيث تُشكل الحجارة سقفا طبيعيا، وقد يسيج مدخلها بزرب من جريد النخل .

3- الحوش الريفي : ينجز عادة على حواف الغوط داخل الطابية، وهو عبارة عن نصف منزل مبني بمواد البناء المحلية (الجبس واللوس) يتكون من غرفة للراحة و بيت الخزين و ساباط ، ويحاط النصف الآخر بساتر من الجريد لمنع دخول الهوام أو الحيوانات الضالة .

من خلال هذا السياق نفهم أن السكان الأوائل للمنطقة بدؤوا استيطانهم بالزراعة في بيئة صحراوية حارة جافة تكاد تكون دائمة الرياح ، فبدأ الناس بالحفر في الرمل بحثا عن الماء وكلما نضبت المياه زادوا من الحفر ووجدوا أن غراسة النخيل هي الأصلح نظرا لطبيعة هذه الشجرة ومميزاتها ، فهي لا تحتاج للماء دائما إلا في مرحلة الإنتاج ، كما أن جذورها تنزل بشكل طولي متوغلة في عمق التربة بحيث قد تكفي نفسها من الماء، إضافة إلى قدرتها على مقاومة الرياح والحرارة .

إن عملية انجاز الغيطان للنخيل تحقق عدة أهداف منها :

1- تقريب النخلة من مصادر المياه الجوفية بحيث تحصل النخيل على الماء مباشرة من مصدر دائم هي المياه الجوفية (الري البعلي)، وبذلك تكون في مأمن من الجفاف.

2- انخفاض قعر الغوط (العمق) يوفر حماية للنخيل والمزروعات الموسمية من الرياح والأتربة ، حيث تكون الروابي والمرتفعات الرملية مصدّات الرياح و تعمل على تقليل قوتها .

3- زيادة نسبة الرطوبة داخل الغوط ما يساعد على زراعة المحاصيل الصيفية.

4- تساعد طريقة السقي الذاتي(البعلي) على تفادي ارتفاع نسبة الملوحة في التربة والتي تحدث بسبب تبخر المياه ما يؤثر على جودتها وخصوبتها .

5- التقليل من الجهد الزائد في استخراج المياه بواسطة الخُطّارة ، ويقتصر الأمر على المحاصيل الموسمية فقط.

2.4 . إنعكاس حفر الغيطان على بلاد سوف :

شهدت بلاد سوف إستقرارا إجتماعيا وزادت أهميتها الإقتصادية ما جعلها محل أطماع الدول والبلاد المجاورة فقد حاول الباي الحفصي إستمالة أهل سوف ليضمن ولائهم لمملكته في صراعه مع الشابيين [35] ومع سلاطين بني جلاب بتقرت وضعها تحت وصايتها لجباية الضرائب منها وقامت بغزوها عدة مرات خلال القرن 18 م[36] كما حاول شيخ العرب بن قانة السيطرة على تقرت ووادي سوف طمعا في أموال الضرائب[37] ولكنها ظلت عصية نظرا لطبيعة الإنسان السوفي الذي ما لجأ إلى هذه المنطقة إلا ليكون سيدا في أرضه حيث يذكر الرحالة ابن الدين الأغواطي في رحلته سنة 1826 م "... ولا يخضع سكان وادي سوف إلى حاكم...وهم يتكلمون العربية، وأهل سوف يتمتعون باستقلال كامل، ولم يطيعوا أبدا أي سلطان ومعظم تجارتهم مع غدامس ففيها يبيعون العبيد..."[38] وفي سنة 1882 تمكنت فرنسا الاستعمارية من

دخول وادي سوف حيث أحصت نحو 136 ألف نخلة منتجة وفرضت عليها ضرائب قدرت بـ 35 سنتيم للنخلة الواحدة.[39]

صارت عملية حفر الغيطان العمل الرئيسي لأهل سوف حتى بلغت نحو 10.000غوط حتى شُبهت بلاد سوف بجلد الفهد الأصفر المنقط [40](الصورة:02)، حيث قدرت أعداد النخيل عام 1887 م بنحو 160 ألف نخلة ، وتجاوزت 202 ألف نخلة عام 1900 م ثم حوالي 450 ألف نخلة عشية الإستقلال الوطني.[41]

تنتج بلاد سوف الكثير من أصناف التمر[42]، إلا أن الرائج هو دقلة نور و دقلة بيضاء وتمر الغرس، فالصنفان الأول والثاني كان أغلبهما يسوق إلى البلاد الشمالية خاصة المجاورة منها بلاد النمامشة و الزيبان كما تصدر كميات منه إلى أوروبا، أما الغرس فهو الغذاء الأساسي للسكان ويقومون بتخزينه في الخابية (ج.خوابي)[43] في دار الخزين أو يقومون بحَشوه (ضغطه) في أكياس من الكتان تُسمى بالبطانة(ج.بطائن)[44]، يقدر إنتاج النخلة الواحدة نحو قنطارا من التمر وهو من الغلال المدخرة يمكن أن توفر قوت عائلة صغيرة خلال حولٍ كامل بغذاء ذا قيمة عالية مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم « بَيْتٌ لا تَمْرَ فيه جِياعٌ أَهْلُهُ » [45] .

رغم أن عملية الحفر مُتعبة ومُضنية جدا، لكن الآباء والأجداد مع قلة الوسائل وبساطتها وبعزيمتهم وتعلقهم بغراسة النخيل وإصرارهم على تعمير المنطقة أبدعوا الغيطان[46]و ينظر العالم اليوم بعين التقدير والإجلال لأسطورة الإنسان السوفي وإنجازه الحضاري المتمثل في إنجاز عشرات الغيطان وكأنها عملية انجاز اهرامات مقلوبة في عملية تشبه إنجاز الإهرامات في مصر القديمة وكان التقدير عندما صنفت منظمة الأغذية والزراعة الدولية " الفاو F.A.O " الغوط السُوفي ضمن التراث الزراعي العالمي سنة 2011 م والذي يجب حمايته.

ولكن يُلاحظ منذ مطلع ثمانينات القرن الماضي بداية تراجع في أعداد النخيل المنتج حيث أحصت المصالح الفلاحية لولاية الوادي سنة 1982 نحو 151 ألف نخلة منتجة فقط تراجع بنحو الثلثين حيث هلكت العشرات منها بسبب ظاهرة صعود المياه القذرة إلى سطح الأرض لانعدام شبكة الصرف الصحي في المنطقة، وصار نظام الغوط اليوم يتلاشى والكل يتفرج وأبسط الحلول التي ابتكرت هو دفن الغيطان التي أفنى السوافة اعمارهم وحياتهم لإنجازها ورفع رمالها بواسطة الجارفات و البلدوزر وتسوية تربتها لتتحول إلى الزراعات الواسعة والحديثة بواسطة الرش المحوري ونظام التقطير.

5. خاتمة: تقع وادي سوف وسط العرق الشرقي الكبير تغطي الرمال معظم مساحتها لا توجد بها أي آثار لمياه سطحية جارية ، إلا أن الدراسات الحديثة أثبتت أن المنطقة تقع ضمن نطاق حوض ضخم من المياه الجوفية والذي يبدو أنه كان سببا في إستقرار أسلافنا وممارستهم لحرفة غراسة النخيل في حقول وبساتين جُعِلت قيعانها عند مستوى تلك المياه الجوفية ، بإنجاز المئات من الغيطان تمكن فلاحو المنطقة من تجاوز مشكلة ندرة المياه السطحية بالري البعلي،كما استطاعوا توفير حماية للمنتوج الفلاحي من عوامل المناخ كالحرارة والرياح ونافست بلاد سوف جيرانها من بلاد الجريد (الجنوب التونسي وبلاد الزيبان) في إنتاج التمور من حيث النوع والكم.

اليوم تراجعت مكانة غيطان النخيل بسبب ظاهرة صعود المياه وهلاك الكثير من النخيل المنتج ما جعل فلاحو المنطقة يطورون تقنياتهم ويكيفوها مع الوضع الجديد من خلال التحول للزراعة الحديثة والواسعة بتقنية الرش المحوري وتحولت بلاد سوف إلى أكبر منتج وطنيا للمحاصيل والخضر الموسمية .(الصورة:03)

رغم هذا التطور إلا أن الغوط كهيكل زراعي يجب أن يستمر لأنه أثبت نجاعته كنظام بيئي واقتصادي صالح لكل الأزمنة ويجب العمل على إيجاد حلول ناجعة لمشكلة صعود المياه القذرة فلولا غراسة النخيل و حفر الغيطان لما عرفت المنطقة الإستقرار البشري وتعمير القرى والحوضر في وادي سوف.

6. ملحق الصور:



(الصورة رقم 01) تمثال يخلد لرافع الرملة عرفانا لإنجاز الفلاح السوفي

(منتديات)



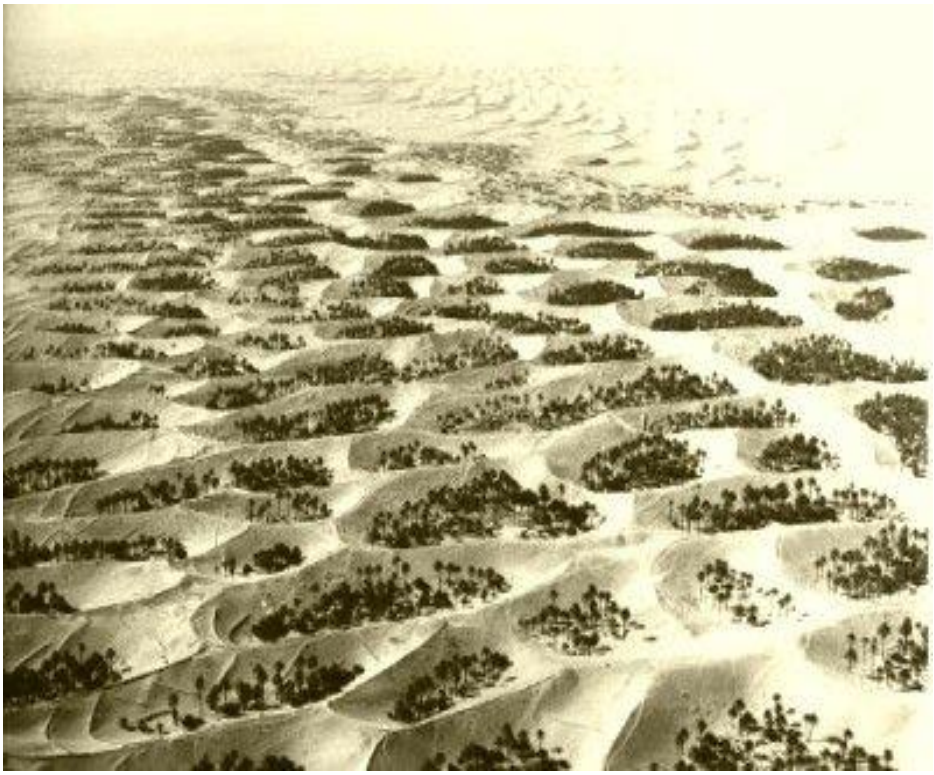
غوط بنظام الأسطر



غوط بنظام الفجوج

(اللوحة رقم 01) نظام غراسة النخيل في الغوط

(منتديات)



(الصورة رقم 02) شبكة غيطان النخيل كلون فروة الفهد المنقط

(منتديات)



(الصورة رقم 03) الري البعلي التقليدي والرش المحوري المعاصر

(منتديات)

[1] عبد الرحمان بن خلدون ، المقدمة ، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت، 2004 ، ص50.

[2] سِباخ (مفرد سبخة) Sebkha مصطلح في علم المياه يدل على قاع حفرة مغلقة خالية من النبات، تتميز بظهور تكونات ملحية على السطح خلال فترة الجفاف، تكون أطرافها مغطاة بأعشاب قصيرة مُشكِّلة منطقة مراع وتعرف بالشطوط Chotts. أنظر: بيار جورج، المرجع السابق، ص.446.

[3] Voisin André-Roger, Le Souf monographie, imprimerie El-walid éditions, EL-OUED 2004, p.24.

[4] الغُرود (م.غُرْد) مصطلح عربي محلي يطلق على الكثبان الرملية المنعزلة أو الهرمية قد يفوق علو بعضها الـ100متر أنظر: بيار جورج، معجم المصطلحات الجغرافية، تر.حمد الطفيلي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان، ط.2-2002، ص.667.

[5] الحمَّادات مفرد حمَّادة مصطلح جغرافي يطلق على النُّتوء الصخري وسط الرمال وهو نوع من الهضاب الصحراوية.

[6] البطحاء (ج.بطاح) وهو المتسع من الأرض المغطى بالحصى أنظر: أبن منظور، لسان العرب ، دار المعارف القاهرة (د.ت.ط) المجلد 1، ص.299

[7] المصدر: الوكالة الوطنية للموارد المائية (و و م م) المحطة الجهوية للجنوب الشرقي بورقلة.

[8] Duplessy Poitou ، La mer des chotts, ou Mer intérieure d'Algérie, L'orient Imprimerie, Paris 1882.

[9] يعتقد أن جلهمة المركز القديم لقمار وتاغزوت كانت النواة الأولى للعمران البشري في المنطقة قبل دخول الإسلام، أنظر : محمد العدواني، تاريخ العدواني،تح.أبو القاسم سعد الله،دار الغرب الإسلامي ط.1،1996 ، ص 132.

[10] نفسه، ص.91.

[11] سحبان هي موضع قديم يقع جنوب غرب مدينة الوادي بنحو 27 كلم و هي قرية تابعة لبلدية أميه ونسة ، وسمي نسبة لرجل من بني سليم ، وقيل من بني شباط الذين كانوا في منطقة الكتف لسد الثغور.

[12] إبراهيم العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف ، منشورات تالة الجزائر 2007 ، ص 142.

[13] إبراهيم العوامر ، نفسه ، ص 28

[14] محمد العدواني، المصدر السابق ، ص 109

[15] العياشي عبد الله، الرحلة العياشية 1661-1663 م، تح.سعيد الفاضلي،دار السويد للنشر والتوزيع ،إ.ع.م ، ط.1، 2006 ، ص.123.

[16] محمد العدواني ، المصدر السابق ص.144

[17] تذكر المصادر أن قبيلة مسوفة إحدى بطون صنهاجة الصحراء دخلوا صحراء سوف في حروب بنو غانية مع بنو حفص في إفريقية.

[18] سيدي مستور أو مسطور رجل متصوف كان يعيش في عزلة إلى الشرق من حي الأعشاش وذكر العدواني أنه كان ممن استقبلوا علي بن المسعود الشابي حين قدومه للمنطقة قصد الإصلاح .

[19] إبراهيم العوامر ، المرجع السابق ،ص.230

[20] **فزان** باللاتينية(Phasania) هي منطقة تاريخية في الجنوب الغربي من ليبيا الحالية. معظمها أراض صحراوية لكن تكثر بها المرتفعات والأنهار الجافة والوديان في الشمال. كما تكثر بها الواحات المنتشرة في الصحراء الكبرى المصدر الرئيسي للمياه بفزان هي المياه الجوفية.وصفها أبن سعيد المغربي بقوله" فزان وهي أيضاً جزائر نخل ومياه ولها مدن وعمائر" كما وصفها ياقوت الحموي" سمّيت بفَزان بن حام بن نوح بها نخل كثير وتمر كثير"ياقوت الحموي ،معجم البلدان،دار صادر بيروت 1977، ج.4،ص.260

[21] إبراهيم العوامر ، المرجع السابق ، ص.231

[22] العياشي عبد الله ،المرجع السابق، ص.123

[23] Bataillon Cl., le Souf, Etude de géographie humaine, université d'Alger, Institut de recherches sahariennes, mémoire n° 2, Alger 1955

[24] البعل من النخل :ما شرب بعروقه من غير سقي ولا ماء سماء.أنظر ابن منظور،المصدر السابق ،ص.315

[25] بناءا على روايات شفهية لعدد من الفلاحين كبار السن الذين مارسوا عملية حفر الغيطان و إخراج الرملة .

[26] رفع الرمل أي الحفر والإخراج إلى الأعلى والذي يقوم بهذا العمل يسمى "رافع الرملة " أو " الرمّال" .

[27] العوّانة هو نظام تعاوني ينشأ بين أفراد القبيلة أو القرية الواحدة يقوم على التكافل والتضامن يعرف في مناطق أخرى بنظام التويزة .

[28] الجناح عبارة عن رداء مصنوع من الصوف يجعل في طرفيه خيط متين أو حبل وعند وضع الرمل وسطه تجمع الأطراف بواسطة الخيط لتكون مثل الكيس توضع على الظهر .

[29] الشارية هي قفة تقليدية محلية تصنع من الحلفاء أو سعف الجريد ويجعل لها حمالة لتوضع على الرأس أو على الظهر.

[30] الزنبيل الزنبيل هو القفة كبيرة أو الجراب وقيل الوعاء الذي يُحمل فيه . أنظر: ابن منظور، المصدر السابق ، ص.1808 أو هو شريط من الليف والحلفاء بطول 1.10 إلى 1.50 م يوضع على ظهر الدابة ليشكل كل جانب منه وعاء أو جيب كبير، أنظر: ج.كوفي، غراسة النخيل في سوف، ترجمة عبد القادر ميهي، مطبعة مزوار الوادي، ط.2013، ص.27.

[31] الطابية مصطلح محلي يقصد به تلال الرمل التي تُشكّل على حواف الغوط لتكون بمثابة حاجز رملي.

[32] البحيرة تصغير للبحر وسميت كذلك لأنه بعد غرس الفسيلة أو الحشّان تصعد المياه الجوفية لتغمر جذورها .

[33] سورة الحِجر الآية : 22

[34] الزرب هو الحظيرة التي تأوي إليها الغنم ومنه الزريبة أي المأوى المصنوع من الحطب والقش .أنظر إبن منظور،نفس المصدر ،ص.1822.

[35] العدواني ،نفس المصدر، ص. 180 و 182

[36] ابراهيم العوامر،نفس المرجع ،ص.266

[37] نفسه،ص.271.

[38] أبو القاسم سعد الله،مجموع رحلات ،رحلة الأغواطي الحاج إبن الدين،المعرفة الدولية للنشر والتوزيع الجزائر ، طبعة 2011، ص.96

[39] LARGEAU V. Le Sahara Algérien, librairie Hachette Paris 2é édition1881, P.335

[40] DAVIAULT L. Le Souf (sud constantinois) bibliothèque de travail, Imprimerie à l'école Cannes, Novembre1947, P.19

[41] غرفة التجارة والصناعة بالوادي، إحصائيات 2000.

[42] ذكر العوامر في كتابه الصروف أكثر من مائة صنف من أنواع التمر المنتجة في وادي سوف أشهرها الغرس و دقلة نور.أنظر:إبراهيم العوامر ،المرجع السابق، ص.75

[43] الخابية أو الخابئة من خبأ الشيء أي ستره، وهي المكان الذي تخزن فيه مزروعات الأرض والغلال أنظر: ابن منظور ، نفس المصدر ،المجلد الثاني، ص 1085.

44 البِطانة ما بُطِن من الثوب وكان من شأن الناس إخفاؤه، السريرة خلاف الظِهارة ، والبِطانة تطلق على أكياس الكتان عندما يتم حشوها بالتمر حتى تكون منتفخة كناية على انتفاخ البطن عند الشبع أنظر :أبن منظور،نفس المصدر،ص.305

45 أخرجه مسلم في كتاب الأشربة، باب في ادخار التمر ونحوه من الأقوات للعيال، برقم 3812.

46 وتشبه هذه العملية بأشغال رفع الحجارة الضخمة لإنجاز أهرامات مصر الفرعونية حتى جاز تسميتها بالأهرامات المقلوبة ولكن الفرق أن الأولى للأحياء والثانية للأموات.